

المنزل والمدينة

للاستاذ سلامة موسى

المنزل هو المبنى . والبيت هو المعنى . أو قل إن المنزل هو الجدران والنوافذ والأثاث . والبيت هو الاجتماع العائلي ورابطة الحب والولاء والمصاحبة بين أعضاء العائلة .

والإنسان اجتماعي يهنا بالاجتماع ويشقى بالاعتزال حتى حين يكون الاجتماع والاعتزال معنويين . فأننا نحب ألا نخرج عن رأى الجماعة التي نعيش معها . وإذا خرجنا فأننا نحاول أن نعملها على أن تأخذ برأينا لأننا لا نطبق هذا الاعتزال المعنوي . وكذلك نكره أن نقيم منفردين . بل نحن حين ننفرد تبقى أفكارنا وعواطفنا متصلة بالجماعة .

والبيت هو نواة المجتمع . وأول آمال الشباب من الجنسين هو تأليف البيت بالزواج والتناسل . ولذلك فن المنزل قيمة اجتماعية وهو يثير عواطف مختلفة بارة تتصل بهناء المعيشة والحياة الزوجية وتربية الأولاد والوجاهة والضيافة وما الى ذلك من معان اجتماعية .

ولهذا السبب عنيت بعض الأمم بحجرة المنزل الذي يسكنه صاحبه . مهما بلغت الديون التي وقع فيها فإن الدائنين لا يمكنهم أن يوقعوا الحجز على منزله أو أثاثه ويبيعوه جزاء لديونهم . فالمنزل عند هذه الأمم قد ارتقى من المبنى الى المعنى . فهو بيت . وهو عيش العائلة التي يجب ألا تتشتت بضغط الفاقة وتتفكك روابطها الاجتماعية بخروج منزلها من أيديها .

والمأمل لحياة المحرم يجد أن من أعراض مرضه — اذا حسبنا الجريمة مرضا — أنه قليل الروابط الاجتماعية . فهو أكثر ما يكون أعزب قد حرم من الرابطة الزوجية . أو هو متزوج ولكن قد حرم الأبوة . أو هو نازع الى الانفراد والاعتزال يكره الاجتماع فلا يصادق ولا يزامل . وقد نشأ هذه النشأة لسوء في تربيته أو لمزاج شاذ لم يحسن توجيهه . أو هو لا يملك عقارا . والانتحار من الجرائم التي تدل قبل كل شيء على ضعف الروابط الاجتماعية . ثم الى ذلك سائر الجرائم .

ف للمنزل هنا قيمة اجتماعية . لأنه يربط صاحبه بالمجتمع من ناحية ربطه بالمدينة . اذ هو يكسب حقا وجاها واحتراما ويفرس فيه أملا . فهو لا يبعثر نقوده ويستهلك كسبه في الملامى والتسلية ولكنه يوفر ويدخر لكي يزين هذا المنزل ويزيد أثاثه . لأن المنزل قد

صار بعض كرامته ووجاهته الشخصيتين . فهو يجد في نفسه إجماعاً عن ارتكاب الرذيلة والجرمة . وهو لا ينفق على الخمر والتدخين لكي يوفر ماله لاصلاح منزله وتربيته .

ومن هنا أخذت الحكومات المتعدنة في العصور الحديثة تشجع الأفراد على اقتناء المنازل ، ووضعت شروطاً للتيسير في اقتراض المال للبناء وردنقروض على آجال طويلة ، وأحياناً تبني الحكومة المنزل وتبيعه بالتسيط ، وأحياناً تقرض الشركات البنائية ملايين الجنيهات لكي تقوم هي بالبناء ثم تبيعه لمن يرغب في الامتلاك .

وأعظم ما يؤخر بناء المنازل هو المضاربة بالأرض والمغالاة في أثمانها ، وقد بصرت المجالس البلدية في أوربا بهذه الحال وتفادت منها بشراء الأرض الزراعية التي حول المدن . وهي تشتريها بأثمانها الزراعية ثم تتركها نحو أربعين أو خمسين سنة ملاعب ومتنزهات وحدائق لسكان المدينة حتى اذا نمت المدينة وبلغ البناء هذه الأرض باعها المجلس البلدى بالتيسير الذى ذكرنا الى من يرغب في البناء . وذلك يقطع الطريق على المضارب الذى يشتري الأرض زراعية بالفدان ثم يبيعها بالمترا للبناء ويأخذ الفرق العظيم بين الثمنين ، مع أن هذه الزيادة يجب أن تعود على المدينة المثلثة في المجلس البلدى . لأن نمو المدينة وحده هو الذى جعل الأرض تنتقل من الزراعة الى البناء وتزداد أثمانها نحو مئتين ضعف .

وكلنا في مصر يعرف ذلك المنزل النسيء الذى لا يطلق للعز في الصيف ولا توجد به أية وقاية من البرد في الشتاء . وهو ذلك المنزل الذى يقرمنه الشبان الى القهوة أو النادى عصر كل يوم . وهو من الضيق بحيث يصبح الأطفال فيه وكأنهم عبء على أنفسهم وعلى آبائهم لأن حرج المكان يجعل أصواتهم وألعابهم وحركاتهم مزعجة . ثم هناك قمامة البناء ونصول الطلاء والبلل العام الذى يكبد النفس ويغم على العقل ويبعث على الشجار . ولا نذكر تلك الكهوف — البدرومات — التى تجعل ألوفا من عمالنا يعيشون مع عائلاتهم في الظلام والرطوبة والمرض كأنهم قد ارتدوا الى العصر الحجري ولم يتمتعوا مع ذلك بشيء من مزاياه .

وقد أعجبنا لهذا السبب بالمكرة البارة التى عمد اليها بعض الزوج في الولايات المتحدة . فاتهم يقصدون انى منازل اخوانهم من فقراء الزوج ويرمون المحطم من أبوابها ونوافذها ثم يطنون الجدران بالألوان الزاهية التى تقشع غيمة الكآبة التى تخيم على المنزل من البلى والتحطم . وما أحرانا بأن نفكر فى مثل هذا البرلأحياننا الفقيرة .

ومع أن لندن وكثيراً من المدن الانجليزية قد حطمت الطائرات الألمانية معظم منازلها فإن الانجليز لا يرون أن هذا التحطيم يعد كله شراً . لأنهم ينظرون منه الخير في إعادة البناء في هذه المدن على الطراز العصرى حتى يستكمل المنزل جميع الوسائل للرفاهية البيئية وتستكمل المدينة جميع الشروط العصرية لتيسير الحركة والتنقل . والانجليز — مثل سائر الأمم الشمالية —

أكثر الأهم عناية بمنازلهم وبالتضامن المدنى فى البناء حتى أن السائر فى احدى المدن الانجليزية أو الهولندية أو الألمانية يجد الشارع شبكة وحدة لا يختلف منزل من تخر عرضا وارتفاعا أو زينة أو طرازا . وقد يدخل أحدنا منزل عامل من العمال الفقراء فيجد المرحاض مفروشا بسجادة صغيرة . ومع هذه الحال يفكر الانجليز فى إعادة بناء منازلهم بعد الحرب على طراز أجمل وأرقى . وقد كان الحريق الهائل سنة ١٦٦٦ فى لندن سببا انجديد هذه العاصمة . ولذلك يعود الانجليز الى هذا التاريخ لذكرى الفرصة القادمة فى تجديد العاصمة بعد الحرب . لأن تدمير الطائرات مثل تدمير الحريق يجب أن يكون فرصة للتغيير والاصلاح .

ويجب أن تكون لنا عبرة فى مصر بالقيمة العظمى للمنزل الحسن الذى يفرى ساكنيه بالإقامة والافتخار به وتزيينه ويربطهم بالمجتمع من حيث انه يزيد كرامتهم ويشغل أذهانهم بهموم انسانية تحول بينهم وبين التذير فى اللهو . فيجب أن نساعد على إيجاد حركة بانية عامة تقرضها الحكومة قروضا مقسطة على آجال بعيدة بلا فائدة . كما يجب أن تتناول هذه القروض اصلاح المنازل القديمة البالية . وليس من المبالغة فى الطمع أن نطلب منع الجحز على المنازل اذا كان أصحابها يسكنونها . فانا نحاول فى مصر إيجاد عائلات متماسكة . والمنزل الحسن هو أقوى الأسباب لهذا التماسك .

وعند ما يؤسس المجلس البلدى المشهود للقاهرة ويكسب هذه القرية الضخمة حياة مدنية فانا نطمح فى أن يشرع فى شراء ماحول القاهرة من أرض زراعية لكى يبيعها أو يبنى عليها المنازل الرخيصة . فان أعظم ما يؤخر نمو هذه العاصمة فى الوقت الحاضر ويحجز السكان على التكسب فى أحيائها الوطنية كالسردين فى العلب هو غلاء الأرض حولها وعجز المتوسطين عن شرائها .

ان البيت هو الوحدة الاجتماعية للامة . والفىكل العظمى للبيت هو المنزل . فيجب أن نعى ببناء المنازل أحسن البناء وأن نحى بكل وسائل الحماية وأن نشجع الأفراد على البناء وعلى امتلاك المنازل . لأننا بذلك نوجههم توجيها مدنيا ونباعد بينهم وبين الخروج على المجتمع .

سلامه موسى